مشكلات في حياتنا الأدبية

بقلم : محمد عبد الحليم عبد الله

في حياتنا الادبية حيال فن القصة عدة ظواهر محتاجة الى تفسير هدفه الاول والاخير المحافظة على النتاج القصصي الذى اهدته الى المكتبة العربية ثلاثة أجيال على مدى نصف قرن .

وليس ازدهار القصة العربية فى مصر منذ الثلث الثانى من القرن العشرين الا ثمرة طبيعية لاكتمال التزاوج بين الثقافة العربية والثقافات الاخرى ، فالكاتب العربى يفتش عما يقوله قبل ان يشرع فى الكتابة والبيان العربى ـ الذى كان قديما مهتما بالصورة ـ اصبح مهتما بالمشكلة والصورة فى وقت واحد . وسلب الفن القصصى فن الشعر بعض مخصصاته وبعض سحره ومعظم قرائه .

ثم ان انتشار فن من الفنون يعنى انتشار الاهتمام بهذا الفن والتحدث فى مشكلاته وتعدد الآراء حول المشكلات ... ثم وقوع حوادث تصادم نتيجة الزحام ورغبة السبق التى تولد مع كل نفس ... وهذا هو موقف فن القصة .

أما تلك الظواهر التى تبرز اليوم فى حياتنا الادبية فاحملها فيما يلى :

الظاهرة الاولى : الشكوى من عدم اتاحة الفرصة على الرغم من كثرة وسائل النشر والاعلام .

ويمكن تعليل هذه الظاهرة تعليلا علميا بزيادة عددنا الذى استتبع زيادة عدد المتعلمين فينا ثم زيادة عدد الموهوبين او اصحاب الطموح الذى تسانده الموهبة أو الوهم والغرور والفرص دائما اقل من طلاب الفرص . وحتى لو فرضنا أن

عدد الفرص متساو مع عدد طلابها فانه من المحال أن تتاح الفرصة لكل من يستحقها لوجود الانتهازيين فى كل زمان ومكان . وهذه المقدمة تعطى نتيجة مؤكدة هى أن وسائل النشر والاعلام مهما تكن كثيرة فانها لن تكفى كل أصحاب المواهب حتى الحقيقيين منهم لان من أهم قوانين النشر والاعلام التعامل مع المشهورين . فتتحكم فى الموقف من جديد قاعدة أن الفرص أقل عددا من طلاب الفرص فينشأ التزاحم والتصارع والشكوى .. وحوادث التصادم .

لكن ... من المؤكد أن من بين الذين يرفعون أصواتهم بالشكوى مواهب لو اتيحت لها الفرصة تلو الفرصة لاثرت حياتنا القصصية . وانا لااشك فى ذلك .

لكننى احسست أن شكوى الشاكين من أصحاب المواهب تستغل صحفيا أكثر مما تبحث عن حب وعقيدة . واصبح النشر مرة واحدة لكاتب موهوب ثم التوقف بعد ذلك مما يسبب عذابا أقسى من عذاب الحرمان .

وليس بين وسائل الاعلام ماهو أقوى على خلق الكاتب الثابت من الصحيفة او المجلة لان الكلمة المكتوبة (وان كانت بطيئة الانتشار) تنتقى بنفسها وبقدرة ذاتية البيئات الحقيقية التى تعيش فيها عمرا طويلا وهذا سر خلودالكتاب والكتاب .

وطبيعى جدا أن يقوم بناء مجلة «القصة» على اقلام المشهورين لانها بغير ذلك لن تستطيع خدمة كاتب غيرمشهور لكن الذى أرجو أن تعمله مجلة القصة ازاء اصحاب المواهب هو أن تتبنى طائفة منهم فتقدم انتاجهم القصصى وتنوه به لكى تسد فراغا أحس بوجوده . ناشىء من أن كاتب القصة فى أول عمره يعانى من احد امور ثلاثة : فاما أن يترك لقدره كشجرة وحيدة على قارعة الطريق قد تدوسها الاقدام وقد تصبح دوحة ظليلة . واما أن يوضع فى يده قلم من الذهب من التدليل فلايكتب ، واما تنهال عليه السياط فينطوى ويتعقد

هذه هى الحالات الثلاث التى تظلل اقلام الكتاب فى أول عهدهم بالكتابة . لكن الحضانة الادبية من أول واجبات كل مجلة ادبية تصدر عندنا واعتقد أن مجلة (القصة) ستفعل ذلك .

لظاهرة الثانية : النسبة العكسية بين رواج قصة ما ورأى الناقد فى هذه القصة ·

وهذه الظاهرة معناها أن القارى شديد الارتباط بالكاتب بصرف النظر عن رأى الناقد فيه . وانه قد لا يستجيب لرأى الناقد فى كاتب ما فيقبل على قراءته تجاوبا مع رأى الناقد ·

وأرجو ألا يظن النقـــاد اننى أهاجمهم لاننى سأزيد الموقف توضيحا ·

ان الدائرة الادبية تتكون من هذه الاطراف الاربعة : الكاتب ، القصة ، القارىء ، الناقد ·

والقصة هى مركز الدائرة التى يلتقى فيهـا الثلاثة الآخرون ·

وقد يحدث أن يكون هنـاك كاتب ··· ولا قصة · فتحفظ القضية أن يكون هناك كاتب وقصة بلا قارىء ولا ناقد · فتبقى القضية معلقة وقتا ما · الى أن يكتشف الكاتب والقصة ·

أن يكون هناك كاتب وقصة وقارىء بلا ناقد · وهنا يجب التساؤل · كيف استطاع هذا الكاتب ان يخاطب هذا العدد من القراء حتى تعلقوا به ؟ وتختلف الاجابة عن هذا السؤال من فرد لفرد · ومن القارىء والكاتب والناقد · نعم تختلف وقد تحتدم · لكن الذى لا جدال فيه هو أن الدائرة الادبية تتم بوجـود الكاتب والقصة والقارىء ، وان غاب الناقد · أما الوجه الاخير للمسالة وهو وجود الاطراف الاربعة فى اتساق وتفاهم وحرص على الحياة الادبية الرفيعة ··· هذا الوجه يمكن تصوره ذهنيا ويمـكن وقوعه على صورة ما ثم انتشـــاره حتى يصبح تقليدا · وذلك فى الوقت الذى سنفرق فيه بين الجدل الفنى والجدل الشخصى والعلاقة الاخوية والقيمة الفنية والذى نعتقد فيه أن الكاتب الجاد قد يحلق وقد يسف وأن الناقد الجـاد قد يهتز الميزان فى يده بغير قصد لانه انسان بكل نوازعه وأعصابه · ثم النظرة الى العمـــل القصصى نظرة موضوعية شاملة وتحرسهـــا المسئولية الكاملة ··· عنـــدما يتم ذلك على صورة ما

ستكون النسبة (طردية لاعكسية) بين رواج القصة ورأى الناقد فيها ·

ولعل مجلة القصة فيما سننشره من نقد ـ تفتح الباب لهذه العلاقة الطبية ·

الظاهرة الثالثة :

دعوى أن هناك جيلا بلا أساتذة ·

وهذه الدعوى رفعها بعض الشبان ضد مجهولين أمام محكمة الرأى العام الادبية · واشتبك فى الخصومة حولها عدد من الشخصيات المعروفة وغير المعروفة ·

وأنا هنا لا أريد أن أفصل فى هذه الدعوى ولكنى أريد أن أناقشها كظاهرة · وربما أدى نقاشها الى نوع من الحكم · ربما ··

بيننا الآن خمسة أجيال من الكتاب :

جيل السبعين من العمر · جيل الستين · جيل الخمسين أو حولها · جيل الاربعين أو حولها · ثم جيل الثلاثين أو حولها ··

وجيل السبعين ـ أطال الله بقاءه ـ هو تاريخيا أستاذ لهذه الاجيال لانه هو الذى خاض معركة القديم والجديد فى الادب العربى من وجهة الى أخرى ·

وجاء جيل الستين فاعتبر الجيل السابق استاذاله بلا جدال ولا حتى مجرد التفكير فى الجدال لان أدباء هذين الجيلين كان لهم صفة الاديب العام الذى يأخذ تطرف من كل نوع أدبى ولم يكن وقت التخصص عندنا قد حان بعد · ثم بدأ التخصص واشتهر أمره بظهور تيمور والحكيم · ثم جاء جيل الخمسين أو ما حولها فاستقر عصر التخصص فى العلم والفن والادب · وأصبح بيننا شعراء ونقاد وقصصيون وكتاب مسرح ثم امتد هذا للجيل الرابع ·

وهنا يمكن أن نسأل : هل يعترف جيل الاربعين بالاستاذية (يعنى بمجرد السبق فى التجربة فقط) لجيل الخمسين ؟ سواء فى الشعر أو القصة أو النقد؟!

وهل يعترف هذا الجيل للجيل الذى سبقه بأنه صاحب فضل فى تمهيد جزء من الطريق ؟!

الجواب : أن هذين الجيلين لم يقر أحدهما هذه

القضية بل ربمـــا شـــعر أنهما جيل واحد يدينـــون بالاســـتاذية لمن سبقوهم · وذلك لاختـــلاف الظروف الاجتماعية والادبية بالنسبة لهم ولجيل الثـلاثين الذى هو صاحب الدعوى ·

ظهر هذا الجيل من كتاب القصة فى فترة اصطرعت فيها الايدلوجيات واتخـذ النقد الادبى مقعده من منصة الحكم وانتشرت وسائل الاعلام بكل اغرائها وفتنتهـا ومكاسبهـا · وأصبحت فرصة الشـــهرة أكثر توفرا وبالتالى كثر المتطلعون اليها · وبدأوا هم يكتبون ·

فى جو مشـــحون الى حد بعيـــد بالرغبة والخوف والارشادات والقواعد فلم يجـــدوا نفسهم أحرارا مـع عوالمهم الخاصة وتجاربهم التى لم يعشها أحد سواهم ·

وقفوا فى مفترق الطرق يكتبون وأمام أعينهم «أسهم» تشير الى اتجاهات متضادة بعضها يحقق الشهرة سريعا وبعضها يتفق مع ميول الكاتب نفسه وبعضها يتفق مع الارشادات وبعضها مطلوب لوسائل الاعـلام ·· دوامة لا يستطيع الكثير من شبابنا أن يبتعد عن مركزها لانه ان فعل عاش فى وحشة وان رمى بنفسه فيها عاش فى دوار · فأى الطريقين يختار ؟!

ولعل الدعوى بأنهم جيل بلا أساتذة ترجمة لكلمـة القلق الذى يصاحب الاديب فى كل أطوار حياته حتى ولو ولد وعاش حتى مات فى مجتمع مســـتقر القيم · فما بالنا بمجتمع يحول اتجاهاته أو يرسى قيما جديدة على أرض جديدة ·

انهم سيجدون أساتذتهم يـــوم يجـدون نفســـهم وسيجدون نفسهم يوم يخفت فى صدورهم صوت القلق فيستمعون الى صوت القلب وكل ذلك محتاج لجو من الأمان والضمان والهدوء النسبى عسى أن يتوفر لهم ·

الظاهرة الرابعة : المدارس الادبية :

والمدارس الادبية لها مغزى أكبر وأكثر خدمة للحركة الادبية من الحرب الباردة · ولها وظيفة فى حياتنـــا الادبية والفنية غير العزل أو اتخاذ الموقف المشاد بصورة مطردة لاتتخلف · ولكل فعل رد فعل · وستبقى حياتنا الادبية فى هزات بين الفعل ورد الفعـــل الى أن نؤمن جميعا بأنه من المحـــال بأن يكون للنـــاس ميل واحد

ومذهب واحد ومدرسة واحدة وذوق واحد وان اختلاف في الرأى شيء والعمل الادبى لمن نختلف معه فى الرأى شيء والعمل الادبى لمن تختلف معه فى الرأى شيء آخر من حيث هو عمل أدبى أولا وقبل كل شيء ٠

ومجلة القصة مجـــلة كل المدارس الادبية ٠ ومن المأمول أن تكون سجـلا ناميا متحركا للانتـــاج الفنى والرأى الحر ٠ ومن المأمول أن يقرأها القراء فلايخمنون مقـدما ما سيقوله كاتب فى كاتب وأن تقدم باستمرار أقلاما جديدة وآراء جديدة ٠

واذا كانت المجلات الادبية ذات مهمة قيادية (ويجب ذلك) فان مهمتها ينبغى أن تكون نحـو الادب الرفيع والامانى القومية والانسانية وتحت هـــذا اللواء تكتب الاقـــلام من كل مدرســـة أدبية بحب وبصيرة ودربة ووفاق ٠

ومنذ أصبحت الصحافة ملك الشعب أيقن كل كاتب (ويجب أن يوقن) أن كل صحيفة ومجلة منه وله ٠٠ تماما مثل أرض هذا الوطن الذى قلله أجدادنا ثم تركوه ملكا لنا لتركه نحن بالتالى ملكا لاولادنا ٠

والعظيم فينا هو الذى يترك آثار أعماله البيضاء على مرافقه الطبيعية أو العلمية أو الثقـــافية ٠ ثم يفتـــح التاريخ سجل البشرية ليقـــدم حساب جيل بين يدى جيل ٠

ورحم الله من قال :

« ما أروع الخلق ٠٠ ما أروع أن تخلق طفلا أو كتابا أو رغيفـــا ٠٠٠ ان لذة الخلق هى اللذة التى لا تعقب ألما ٠٠٠ أبدا ٠٠ » ٠

محمد عبد الحليم عبد الله